الكنايات في تراث تعز الشعبي

د/ ياسر هاشم الهياجي

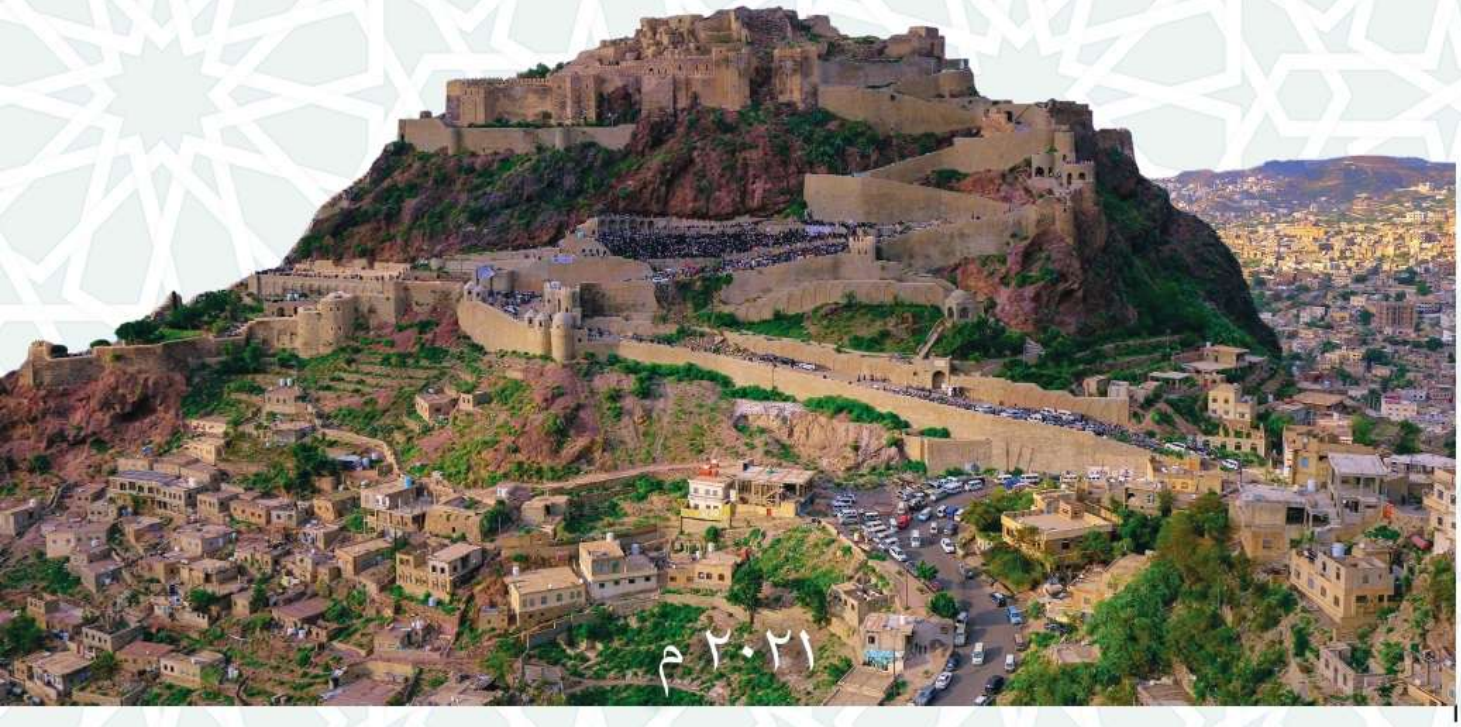

٢٠٢١م

الكنايات في تراث تعز الشعبي
د/ ياسر هاشم الهياجي

الكنايات

في تراث تعز الشعبي

جَمَعَها وشَرَحَها
د . ياسر هاشم عماد الهياجي

مكتبة دار السلام

رقـــم الإيـــداع: بالمكتبة الوطنية بعدن برقم « ١١٨٣ » لسنة ٢٠٢١م.
العنـــــــــوان: الكنايات في تراث تعز الشعبي.
جمعها وشرحها: د. ياسر هاشم عماد الهياجي.
الطبعـــــــــة: الأولى.
ســـنة النشـــر: ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.
المقـــــــاس: ١٧×٢٤.
عدد الصفحات: ٢٧٢صفحة.
التنســـــــــيق والإخراج الفني: مكتبة دار السلام – تعز – خلف مكتب التربية والتعليم.
☎ 04 251719 711914060

❖ صورة الغلاف: منظر لقلعة القاهرة – مدينة تعز.
❖ تصويـــــــر : هاني العديني.
❖ تصميم الغلاف: حصة آل عمير.

حُقوق الطبع مَحفوظة لِلمؤلف

يُمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرهـــــا إلا بـــــإذن خطـــــي مـــــن المؤلـــــف.

إهداء

كنتُ قد كتبتُ إهداءً لهذا الكتاب، وفي اللحظات الأخيرة قبل خروجه من المطبعةِ إلى النور، علمتُ بوفاة أستاذي الذي لم أوفيّه حقه، فأضفتُ إهداءً له، علّني أُهدي روحه ما لم أستطع وهو حيّ..

إِلَى مَدِينَةٍ لَمْ تُغَادِرنِي يَوْمًا
تِلْكَ الدُّرةُ الْبَاهِرَة، والْبُقْعَةُ الطَّاهِرَة
عَرُوسُ الْمُدُن، وأَرْضُ أَجدَّادِي،
ثُمَّ إِلَى مَنْ يَتَحَدَّثُون لهجْتَها وتُفِيض أَلِسَنَتُهُم «كِنَايَات»..

إلى الذي كرّس حياته لخدمة تراث تعز وحضارة اليمن،
إلى المعلم والمؤرخ الذي صنع حياة جيلٍ بأسره..
تلاميذُه الآن رجالٌ يصنعون الرجال
إلى روحِ المغفور له بإذن الله، الأستاذ العزي محمد مصلح، مدير عام الآثار في تعز سابقًا
عليه رحمةُ الله

ياسر الهياجي

مُقَدّمة

يُشكّل التراث الشّعبيّ Traditional Heritage أو الفلكلور Folklore الجزء الدال على هوية أي شعب؛ كونه منظومة من المعارف والمفاهيم الثقافية والإبداعية، النابعة من مجتمع ثقافي، والقائمة على التقاليد التي يُعبِّر عنها المجتمع نفسه، وتستند في تراكمها ونشوئها إلى عمقٍ تاريخي – حضاري، تمتدُّ جذوره عبر التاريخ، في كثيرٍ من مفرداته وظواهره الثقافية، وصولاً إلى المرحلة المعاصرة.

والأدب الشّعبيّ: هو الكلام المنطوق عند عامة الشعب للتعبير عن نفسه، وتجربته الإنسانية التي يُعبِّر فيها عن هويته باستخدام التعابير والمصطلحات التي تُمثل انفعالات عاطفية أو فكرية تنهجها العامة في أساليب تعبيراتها، وتُقدِّمها بصيغتها البسيطة؛ كونها تنطلق من مجموعة أفراد ليس لهم كفاية من التعليم، والغالبية منهم أُميّون، لا يحسنون القراءة والكتابة، لكنّهم يعبرون عن ذواتهم بحسٍّ مرهف وبراءة واضحة، وعفوية صادقة في إطلاق تلك المشاعر، وتكون «لغة البساطة» هي الدليل الأوضح للأدب الشّعبيّ، الذي ينطلق من العاطفة العليا في لحظة الانفعال الوجدانية الصادقة والخاضعة لهوى القلب والروح دون تردّد أو انضباط.

وإذا كان التّراث الشّعبيّ بمفهومه الواسع، وفنونه المختلفة يُكوِّن صورةً صادقة عن المجتمع الذي أبدعه، ويُعبِّر عن مدى أصالة الشعب، وعمق جذوره في الحياة الإنسانية؛ فإنّ جزءًا من التّراث الذي هو مجال حديثنا في هذا الكتاب، الكنايات –التي تظهر في أحاديث الناس اليومية وتعابيرهم المتداولة – تمثّل هي أيضًا جزءًا مهمًا من تراثها وذاكرتها الشعبية وصورة واضحة وصادقة ومتداخلة مع بقية الفنون التي تُشكّل معها الصورة الكليّة للتّراث الشّعبيّ؛ لأنّ الإبداع الإنسانيّ الذي اتّحد جذرًا قد اتّحد سنابل.

وقبل أن نتحدّث عن مفهوم الكنايات الشّعبيّة والمعبرة عن ثراء وشفافية التراث الشعبي، لا بدّ من الإشارة إلى ما يقوله «فاروق خورشيد» حول مفهوم النص الشعبيّ

عامّة: «إنّ أي نصّ أدبيّ يصلح أن يكون نصًّا شعبيًّا إذا ما اختارته الجماهير وتَبَنَّتْه، ثمّ حمله كُتّابها وفنّانوها من مرحلة إلى مرحلة، ومن عصر إلى عصر»[1].

تُعرَّف الكنايات: بأنها تعابير اصطلاحية من فنون الأدب الشّعبيّ، نشأت بالأصل من وجدان الشعب، فتداولها الناس من السلف إلى الخلف، عاملين فيها صقلاً وتهذيبًا، إلى أنِ استقرت مع ما يتوافق عليه الوجدان الجمعي والذوق العام؛ لتصبح الكنايات تعبيراً صادقًا عما يجيش في النفوس من الآراء والأفكار في صياغة لطيفة مختزلة التعبير؛ ذلك أنَّ اللغة التقليدية أو ما يسمى بالثقافة التقليدية هي ثقافةٌ شفهية تتوسّل باللغة والكلام، بهما تتواصل، وبهما تتعلم، وبواسطتهما تحفظ تراثها، وبهما تتسَلّى وتُرَوّحُ عن نفسها، ونتيجةً للتطورات التي تشهدها المجتمعات في مختلف مناحي الحياة، تنحسرُ مساحة الكلام، ويتراجع حجم الاتصال بلغة الحياة اليومية المُستقاة من التراث الشّعبيّ التي تختلف عن اللغة الفصحى في نطق الحروف، وتركيب الكلمات والمفردات نفسها، وتركيب الجملة، بل وفي النغم اللغوي نفسه.

والمقصود بالكناية: أنْ يُعبّرَ عن شيءٍ معينٍ بلفظٍ غير صريح في الدلالة عليه؛ لغرضٍ من الأغراض، أو أنْ يتكلمَ المرءُ كلامًا أو يقول قولًا يعني به غير ما يقول أو يتكلم، أو ما يدل عليه ظاهر اللفظ، وما كان وراؤها من غمزٍ ولمزٍ وتعرّي. وقيل إن الكناية تعني: العدول على الألفاظ والعبارات الموضوعية - أصلاً - للدلالة على معنى، أو شيء إلى عبارات أخرى تشير إليه. إذن الكناية تعبيرُ المرء عن الأفعال التي تُستَر عن العيون عادة؛ تنزهًا عن أيرادها على وجهها، وتحرزًا مما وضع لأجلها، وتستبدل ذكر الكلمات السخيفة بالعبارات اللطيفة، وإبدال ما تَمُجُّه الأسماع بما لا تنبو عنه الطباع. والكناية في التراث الشعبي أكثر شيوعًا ممّا هي في الفصيح بسبب ميل العاميّة إلى السرعة؛ تماشيًا مع متطلبات الحياة، وانعكاسًا لسرعة أيقاعها. فقد كنَّوا — مثلاً — عن «جامع كل شيء» بـ «سفينة نوح».

وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[2]، فكنّوا عن لفظه ولم

(١) خورشيد، فاروق، ١٩٧٨، السير الشعبية، دار المعارف، مصر، ص ٨.
(٢) سورة الفرقان: ٧٢.

يوردوه، فإنهم أكرموا أنفسهم عن التلفظ به. وفي قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]، فكنَّى عن كل من النساء والرجال باللباس، وفي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[2]، جاء لفظ الكناية في «الرَّفث»، والمقصود به الجماع، ويُكنّى عن النساء بلفظ «القوارير».

لقد كتبتْ معظم الشعوب تراثها الذي استلهمته من أسلافها عبر الحقب، ونحن في اليمن لم نجمع تراثنا– على أصالته – بعد، والدراسات التي أُعِدَّت عن هذا الموروث العريق لا يعدو كونه قشوراً، وهذا الكتاب جزء من تراثنا الشعبي، متمثلٌ في مثل هذه الكنايات الشائعة وهي كثيرة الاستعمال، إذ لا يوجد حديث بدونها، ولا يمر يوم إلّا ويُتَمَثَّلُ بها، خصوصاً عند أبناء القرى والأرياف وكبار السن، والتي باتت مهددة بالاندثار مِن ألسنة الناس إن لم يتم تداركها وحفظها وتوثيقها.

يأتي هذا الكتاب كإحدى الدراسات في التراث الشعبي التي بذلتُ فيه جهوداً طيبة في إطار المساعي التي بدأتُها منذ عشر سنوات، في جمع وتبويب وحفظ وتوثيق الموروث الشعبي لمحافظة تعز، وهو تتمة لعمل آخر مشترك بعنوان «الأمثال الشعبية في محافظة تعز» والذي صدر في أغسطس ٢٠٢٠م.

والكتاب –الذي بين أيدينا– عبارة عن موسوعة ألف بائية مصغرة على غرار المعجم، ضمّ بين دفتيه كل ما استطعت أن أجمعه من كنايات متداولة، سواءً اندثرت أو لا تزال متداولة، يتناقلها عامة الناس في محافظة تعز اليمنية من تعابير وأقوال، يرتسم بها الواقع الاجتماعي من خلال قوة تعابيرها ومفرداتها، ولما لها من علاقة بالحياة اليومية، والذي نأمل أنْ يتطور ليشمل تجميع كل المفردات والألفاظ في كل مناطق المجتمع اليمني، الذي لا يزال مجتمعًا تقليديًا بالمعنى الحقيقي، يحفل بالكلام ويتوسل باللغة الشعبية كنشاط رئيس في حياته اليومية، رغم التقدم المادي الظاهري والقشرة المتحضرة التي انخدع بها الكثير.

---

(١) سورة البقرة:١٨٧.
(٢) سورة البقرة:١٨٧.

وقد اتبعتُ منهجية في شرح الكنايات من حرف الألف إلى الياء، والتي بلغت «١٠٨٦» كناية جمعتُها من أفواه الناس، وما وعته ذاكرتي من أخبار جَدّي على روحه الطاهرة السلام، وزودني ببعضها أصدقاء أجلاء، وأساتذة فضلاء، وشيوخٌ نبلاء، وهي مرتبة أبجديًا على الحرف الأول من اللفظ؛ تسهيلاً للقارئ في الرجوع إلى أي كناية من غير تعبٍ وعناءٍ، وهي مشروحة لغويًا واجتماعيًا، وضعتُها بأمانة علمية بدون تشويه أو انتقاء من أجل إبراز صورة المجتمع الحقيقية؛ ذلك أنَ كثيراً من المشتغلين في جمع وتوثيق التراث الشعبي يتجنبون –أحيانًا– أيراد الألفاظ التي فيها شيءٌ من العورات أو قذاعة الألفاظ تحرجًا أو خوفًا من اللوم، أو رغبةً في وصفهم بالتقوى، والحقيقة أنني لستُ من هؤلاء، فإثبات الكل يُمكِّن الباحث من الاطلاع اطلاعًا تامًا على واقع الحال، أمّا انتقاء البعض وترك الباقي فهو تجزئة للحقيقة المنشودة، التي ينبغي أن تُحترم، وغايتي في ذلك تصوير المجتمع بكلِّ صوره وأبعاده، وتوثيق الكنايات والألفاظ كما هيَ، ما ينجذب إليها الطبع أو ما يأنفها السمع، هادفًا إلى خدمة وتوثيق جزء من كنوز تراثنا الجميل.

لقد اتبعتُ في شرح هذا الكتاب نظريات وتوجهات ومناهج علم الفولكلور في دراسة التاريخ الثقافي والبناء الاجتماعي لمجتمع تعز سواءً البعيد أو القريب، ولغة الحياة اليومية الشائعة بين الأفراد، وما تمرُّ به من تفاعلات وتطورات، ولهذا فهو لا يندرج في إطار الدراسات اللغوية، وليس معجماً لغويا بالمعنى الدقيق، ومع ذلك فهو ليس عديم القيمة أو قليل الفائدة من زاوية الدراسات اللغوية، بل يُقدِّم مادة ثرية يمكن أن تفيد التحليلات اللغوية في مجالات شتى ولأغراض عدة.

سأترك الكتاب لك عزيزي القارئ بعد أن تفلّت من بين أناملي، والذي لم أبلغ فيه حدّ الكمال، فربما جانبتُ الصواب أو شرحتُ باقتضاب أو فاتني شيءٌ من الخطاب، فقد يتغير مدلول الكناية من منطقة إلى أخرى، أو لربما ضللتُ في تأصيل بعضها، لكني اقتصرتُ على القليل المفيد، وحَسْبي من القلادة ما أحاط بالعُنُق، وحَسْبي –أيضًا– أني قد رُمتُ محاولة وبذلتُ جهداً كبيراً في رصد الألفاظ وشرحها وتتبع المصادر، واختيار

الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية والأمثال والشعر الفصيح، كما دعمتها ببعض قصص هذه الكنايات والأقوال السائرة والمأثورة والحكمة، في محاولةٍ مني لشدّ القارئ الكريم؛ حتى يُسمِّر عينيه بين سطور الكتاب وثنايا صفحاته، دون أن يُصاب بالملل، أو يعاني من الإرهاق إذا انتقل من كناية إلى أخرى دون أن يمرّ بمحطاتٍ يريح فيها رحله، ويقيل فيها عند الهاجرة. ولا تزال الكثير من هذه الكنايات تُقال في أفواه العامة، لم أستطع التقاطها، أو حبيسة صدورهم ولم أستطع الوصول إليها، وغايتي أن يجد هذا الكتاب اهتمام الباحثين في حقل الدراسات التراثية أو اللغوية؛ لإتمام الناقص وإصلاح الزلل وإكمال ما فات مني وسقط سهواً من غير إدراك، لعلي استدركها في طبعة لاحقة في المستقبل بإذن الله.

ختامـاً، عميق الشكر والتقدير والامتنان لكل مـنْ ساهمَ في المساعدة بإنجاز هذا العمل، أحياءً وأمواتـاً، سائلاً المولى القدير أن يمُنّ عليهم جميعـاً بالرضا والعفو والغفران. والشكر أجز له لأخي العزيز الأستاذ / خالد راشد حمود على الجهد الذي أسهم به في مراجعة، وتدقيق الكتاب من الناحية اللغوية.

وآخراً، أقول كما قال الشاعر:

فصلّتهُ لكن على عقلي فما ... مقياسُ عقلِك كان لي معروفا
أفرغتُ فيه كلّ حبرٍ راقَهُ ... وله بريتُ من اليراعِ ألوفا
ما راح من قولي فخُذهُ وما ... تجد من زائفٍ فأتركه لي ملفوفا
لا بد أن تجد الصيارف مرةً ... بين الدراهمِ درهماً مزيوفا
إنّ المُصنَف لا يكون مُصنفاً ... إلا إذا جعل الكلام صنوفا
أودعتُهُ كَلِماً وألفاظاً حَلْت ... وحشوتُهُ نُقطاً زهتْ وحُروفَا

والحمد لله رب العالمين...